

الفصل الأول الأفضلية اللغوية

1.1 مقدمة



يقول جون ليونز، صاحب كتاب (نظرية تشومسكي) في خاتمة الكتاب : (ولا بدّ من أن يأتي يومٌ تنهارُ فيه نظرية تشومسكي هذه، على يد عدد من العلماء الذين يرون أنّها غيرُ ملائمة لدراسة ووصف اللغات الإنسانيّة)⁽¹⁾، والحقيقة أنّ نعوم تشومسكي رائدُ النظرية التوليدية التحويلية نفسه، دعا في نهاية كتابه البنى النحوية إلى إيجاد نظرية أكثر شمولاً للغة، تضم نظريته - القائمة على الشكل اللغوي - و علم الدلالة، واستخدام اللغة، يقول: (إنّ وجود التوافقات بين السمات الشكلية والدلالية حقيقة لا يمكن نكرانها، وينبغي أن تُدرس نقاطُ التطابق هذه ضمن نظرية أكثر شمولاً للغة، تضم نظرية الشكل اللغوي، ونظرية استخدام اللغة ... إنّ البحث في الوظيفة الدلالية لبنية المستوى قد يكون خطوة معقولة في اتجاه وضع نظرية للتلاقي بين النحو والدلالة ... والواقع أنّ العلاقات المشتركة بين شكل اللغة واستخدامها يمكن أن يزدونا بعض المعايير التقريبية لصلاحية نظرية من النظريات اللغوية وأنظمة القواعد المنبثقة منها؛ فنستطيع تقييم النظريات الشكلية طبقاً لقدرتها على شرح وتوضيح مجموعة من الحقائق التي تخص الطريقة التي تستعمل بها الجمل وتفهم)⁽²⁾، وفي موضع آخر يقول : (إننا نجد كثيراً من الصلات المهمة بين البنية النحوية والمعنى، وهو أمر طبيعي، أو بعبارة أخرى، نجد أنّ الوسائل القواعدية تُستخدم بصورة منتظمة. إنّ هذه الصلات يمكن أن تؤلف جزءاً من مادة لنظرية لغوية أكثر شمولاً، تهتم بالنحو، وعلم الدلالة، ونقاط التلاقي بينهما)⁽³⁾.

وربما تكون هذه الدعوات تجديدية، و إنّ كانت مبكرةً، حيث إنّ تشومسكي

(1) ليونز، جون : نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق : حلمي خليل، ط 1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985، ص: 269.

(2) جومسكي (تشومسكي)، نوم (نعوم) : البنى النحوية، ترجمة : يؤيل يوسف عزيز، مراجعة : مجيد الماشطة، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، ص : 132.

(3) جومسكي، نوم : البنى النحوية، ص : 140.

طَوَّرَ نظريته عدة مرات؛ لتخرج في إطار لا يتلاقى مع ما دعا إليه هنا، حتى ظهر علماء يدرسون علم لغة ما بعد تشومسكي، مثل : تيرينس موور، وكريستين كارلنج، في كتاب (فهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي)، و ألن برنس وباول سمولنسي في كتابهما (الأفضلية اللغوية).

2.1 مفهوم نظرية الأفضلية

1.2.1 الأفضلية لغة

(فضل) الفَضْلُ والفَضِيلَةُ معروفٌ ضدُّ النَّقْصِ والنَّقِيسَةِ، والجمعُ فُضُولٌ... والتَّفَاوُلُ بين القومِ؛ أَنْ يكون بعضهم أَفْضَلَ من بعض... وفَاضَلَنِي فَفَضَلْتُهُ، أَفْضَلُهُ فَضْلاً غلبتُه بالفَضْلِ، وكنت أَفْضَلَ منه... وَفَضَلْتُهُ على غيره تَفْضِيلاً إِذَا حَكَمْتَ له بذلك، أَوْ صَيَّرْتَهُ كذلك، وَأَفْضَلَ عليه زاد.... قال الزجاج معناه: من كان ذا فَضْلٍ في دينه، فَضَّلَهُ اللهُ في الثواب، وَفَضَّلَهُ في المنزلة في الدُّنْيَا بالدِّينِ كما فَضَّلَ أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

2.2.1 الأفضلية اصطلاحاً

نظرية الأفضلية اللغوية؛ نظرية لغوية حديثة وضعها ألن برنس وباول سمولنسي عام 1993، وأخذت تنتشر الآن بشكل ناجح بديلاً عن النحو التوليدي وتعالج جميع المستويات اللغوية⁽²⁾، وهي تقوم على تفاعل المعايير اللغوية بعضها مع بعض؛ وفقاً لسلم تفاضلي يُرتَّبُ الشروط اللغوية من الأهم إلى الأقل أهمية، ثم تُعرَضُ النصوص اللغوية على هذه المعايير واحداً تلو الآخر؛ وفقاً لسلم الرتب التفاضلي، فإن توافق النص معها جميعها فقد حقق شرط الأفضلية اللغوية، وعندما تكون المقارنة بين نصين لغويين للوقوف على الأفضل لغوياً منهما يُعرَضُ النصان على كل معيار على

(1) ابن منظور : لسان العرب، ج 524/11.

(2) جيرارد، جاجر (Gerhard Jager): Properties of Bidirectional Some Notes on the Optimality Theory Kluwer – Academic Publisher – Netherlands – 2002 – PAGE

حدة، فإنَّ حقاً هذا المعيار نتجاوزه إلى المعيار التالي، ويسقط المعيار السابق من التفاضل، إلى أن نصل إلى نقطة يخرق أحد النصين معياراً ما، ويتحقق الشرط في النص الآخر؛ وهكذا مع جميع المعايير، ثم نحصي الخروقات للمعايير؛ فيكون الأقل خرقاً للمعايير هو الأفضل لغوياً، حتى لو لم يحقق الشروط جميعها.

يقول جون مكارثي⁽¹⁾ : (هي الخيار الأفضل من بين الخيارات المتاحة وحتماً
It is about being the best among a choice of الكمال لا يعنى الكمال
(options, not about being objectively perfect).

تقوم نظرية الأفضلية اللغوية على مفهوم بسيط نظرياً، حيث إنَّ المدخلات تُعرض على المعايير التي يضعها اللغوي وفقاً للمستوى اللغوي، نحوياً تركيبياً، أو صرفياً، أو صوتياً، والأكثر تماهياً مع القيود؛ بمعنى: الأقل انتهاكاً لها يكون هو الأفضل في هذه الحالة، بناءً على قياس معدل الانتهاكات بين المدخلات، لكنَّ فكرة تفاعل القيود مع قيمتها تُعدُّ مستغربة؛ حيث إنَّ القيود تختلف في أهميتها ودرجة الإقناع من قيد لآخر؛ لأنَّ القيد الأكثر إقناعاً يأخذ الأولوية المطلقة على الآخر، ولحلَّ الصراع بين القيود يتم ترتيب القيود وفق الهيمنة الصارمة للقيد الأهم على الأدنى رتبة منه⁽²⁾.

ويعرفها مكارثي بشكل أوضح⁽³⁾: هي إطار عام لتفاعل القيود (OT is a general framework for constraints interaction).

وتتلخص الفكرة الرئيسة للنظرية عند كاجر (في أنَّ الصيغ السطحية تمثل حلولاً مقترحة لبعض التباينات التي تظهرها تلك المطالب المتضادة لعدد من القيود، فنجد

(1) مكارثي، جون (John J. McCarthy) : A Thematic Guide to Optimality Theory. Research Surveys in Linguistics. Cambridge University Press. UK. First Published 2002. Page 8

(2) برنس، ألن، و سمولنسكي، باول (Alan Prince and Paul Smolensky) : Optimality Theory : Constraint Interaction in Generative Grammar. ROA Version. August. 2002. Page : 2

(3) انظر : مكارثي، جون (John J. McCarthy) : A Thematic Guide to Optimality Theory, Page 17، والاختصار: ” OT ” هو اختصار : ” Optimality Theory ”

أن تفضيل صيغة سطحية ما يعتمد بالأساس على كونها تتكبد الحد الأدنى من الانتهاك لمطالب قائمة محددة من القيود المنتهكة، التي تنتظم بدورها في تسلسلية تعكس ترتيباً مخصصاً لغوياً⁽¹⁾.

أما وظيفتها، فهي البحث عن الشكل الأمثل اعتماداً على القواعد النحوية⁽²⁾، ولا يعني الشكل الأمثل الكمال المطلق؛ (لأن سلامة الصيغة للصيغ المخرجة لا يمكن أن تكون مقياساً للنحوية، فمن الضروري انتهاك بعض القيود في كل المخرجات، حيث إن هذا المدخل لسلامة الصيغة يتنبأ بأن يوجد لكل مدخل مخرج سليم الصيغة يسمى بالمخرج الأمثل، الذي يكون انتهاكه للقيود المتضادة في حده الأدنى، في أي تسلسلية محددة، ولكن يجب أن نعرف أن اللغات لا تطابق دائماً هذه الصورة، لأنها قد تظهر حالات من اللانحوية التامة، حيث إنه قد يوجد مدخل محدد ليس له مخرج نحوي سليم الصيغة)⁽³⁾.

3.1 نشأة نظرية الأفضلية



تعدُّ النظرية التفاضلية تطوراً لنظرية النحو التوليدي، وهما تشتركان في تركيزهما على التوصيف المنهجي، وفي تتبعهما للمبادئ الكونية، منطلقتين من أرضية بحث تجريبية تُعنى بالتصنيف اللغوي، واكتساب اللغة الأولى⁽⁴⁾.

إنَّ أول وصف لهذه النظرية كان على يدي واضعيها، ألن برنس، وباول سمولنسكي في ندوة قُدِّمت في جامعة كاليفورنيا، سانتا كروز، سنة 1991، ثم جاءت التفاصيل في كتاب منشور سنة 1993، وكان أول تطبيق لهذه النظرية على علم الأصوات

(1) كاخر، رينيه : النظرية التفاضلية في التحليل اللغوي، ترجمة : فيصل بن محمد المهنا، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 2004، ص : ز ، مقدمة المؤلف.

(2) انظر : Abigail Rhoades, KAUM: The Typology Of Rounding Harmony : An Optimality Theoretic Approach. University Of California, Los Angeles. Degree Doctor Of Philosophy in Linguistics. 1995, Page 136

(3) كاخر، رينيه : النظرية التفاضلية في التحليل اللغوي، ص : 506.

(4) كاخر، رينيه : النظرية التفاضلية في التحليل اللغوي، ص : ز، مقدمة المؤلف.

(الفونولوجي، التشكيل الصوتي)، ثم بدأت تتوسع إلى علم الصرف (المورفولوجي)، ثم المستوى النحوي، ثم علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم الدلالة، ثم صارت ميداناً للدراسة في كثير من الدراسات في الأدب الحديث⁽¹⁾.

4.1 الأفضلية اللغوية واللغة العربية



يمكن تطبيق هذه النظرية على النصوص العربية في حال كنا نفاضل بين نصين، أو أكثر، مع مراعاة خصوصية اللغة، وقواعدها التي تمثل القيود التي تقوم عليها المفاضلة؛ وفقاً لمبدأ تفاعل القيود، والترتيب التفاضلي لها.

لكن في مثل دراستنا هذه فإنّ الواقع يتطلب أن نتدخل في النظرية لتوائم اللغة العربية أكثر، خاصة في حال الحكم على النص الواحد، وهذا ممكن بالطبع، دون أن نخل بالإطار العام للنظرية، وذلك بأن نعرض النص على معايير اللغة، فإن توافقت معها جميعاً يكون هذا النص هو الأمثل لغوياً، وإن خرق النص أحد هذه المعايير، أو أكثر فقد حقق شرط المقبولية اللغوية ما لم يكن هذا الشرط رئيساً يؤثر في حصول المعنى؛ فإنه في هذه الحالة يكون مرفوضاً لغوياً، وسيوضح ذلك في الفصول اللاحقة إن شاء الله.

5.1 مكونات الأفضلية اللغوية⁽²⁾



1.5.1 المولّد (The universal candidate generator): GEN

وهو ابن اللغة القادر على توليد اللغة وفق نظام الكفاية اللغوية الخاص بلغته، ونجد أنّ هذا المكون مشترك مع تشومسكي.

(1) انظر: مكارثي، جون (John J. McCarthy)، A Thematic Guide to Optimality Theory، : page 8.

(2) انظر: مكارثي، جون (John J. McCarthy)، A Thematic Guide to Optimality Theory، : page 8.

2.5.1 مجموعة القيود العالمية الشائعة

:CON A putatively universal set of constraints

ويرى كاجر (أنَّ اللغاتِ لَنْ تختلفِ إلا في طرائقِ ترتيبها لهذه القيود، معطية الأولوية لبعضها على بعض)⁽¹⁾.

3.5.1 التدرج أو التسلسل الهرمي

:H The language particular constraint hierarchy

وله وظيفة رئيسية: إيجاد المخرج الأكثر توافقية من المدخلات⁽²⁾.

4.5.1 المقيّم :

يعتمد التقييم الوظيفي العالمي الذي يحدد التسلسل أو التدرج الهرمي وفقاً للسلاسل التوافقية (The universal function EVAL)

6.1 السلاسل التوافقية harmonic serialism's



وأرى أنَّ هذه السلاسل مكونة من مجموعة حلقات متصلة كل حلقة تمثل قيداً من القيود اللغوية التوافقية، ويختلف عدد الحلقات وفقاً لنوع القضية اللغوية المطروحة للمفاضلة، ووفقاً للمستوى اللغوي والمدخل الأمثل هو الذي يحصد سلسلة أطول من سلاسل المدخلات الأخرى.

ومفهومها عند سمولنسكي⁽³⁾ هي السلسلة التي يقوم المؤلّد (ابن اللغة) بإدخال أنماط مرشحة للتحليل التفاضلي؛ للوصول إلى النمط الأفضل من خلال عرض الأنماط على القيود الموضوعية الواحد تلو الآخر حتى نصل إلى النقطة التي يستحيل فيها التفاضل.

(1) كاجر، رينيه : النظرية التفاضلية في التحليل اللغوي، ص: ز ، مقدمة المؤلف.

(2) انظر :KAUM: Abigail Rhoades. The Typology Of Rounding Harmony : An Optimality Theoretic Approach. Page 136

(3) برنس، ألن، و سمولنسكي، باول (Alan Prince and Paul Smolensky) Optimality Theory :

Constraint Interaction in Generative Grammar. Page : 5

harmonic serialism, by which Gen provides a set of candidate analyses for an input, which are harmonically evaluated; the optimal form is then fed back into Gen, which produces another set of analyses, which are then evaluated; and so on until no further improvement in representational Harmony is possible.

ويعرفها مكارثي: بأنها تطبيق القيود التي يضعها المقيّم على الأنماط المرشحة بحثاً عن نقاط تلاقٍ بين القيود، والأنماط، وصولاً إلى النمط الأمثل⁽¹⁾.

7.1 الافتراضات التي تدحضها نظرية الأفضلية اللغوية⁽²⁾



- الافتراض الأول : ينظر النحويّ من زاوية رؤيا ضيقة، ومحدودة الأفق عند وصف القواعد والتغيرات الحاصلة عليها.

البديل عند سمولنسكي: إنّ نظرية الأفضلية اللغوية تمنح المدخلات (الأنماط المرشحة للتحليل) مساحة واسعة وغير مقيدة من التحليل من خلال ممارسة آلية عمل نظرية الأفضلية، وبالتالي فإنّ المخرجات تقع في مكانٍ ما ضمن هذا الحيز الواسع من القيود النحوية القادرة على تمييز النمط الأفضل.

- الافتراض الثاني : الإيمان المطلق بصحة القيود اللغوية (قداسة القيود)

البديل: هو أنّ القيود هي حقوق عالمية تتكون من صياغات عامة يعترها الكثير من الاختلافات، والصراعات على صحة البناء اللغوي مما يفسر الانتهاكات التي تحدث لها، وهناك خصوصية لكل لغة في وضع القيود الخاصة بها، وللتغلب على الصراعات جاءت فكرة ترتيب القيود وفقاً لأهميتها.

(1) انظر: مكارثي، جون (John J. McCarthy) ، : A Thematic Guide to Optimality Theory،

(2) برنس، ألن، و سمولنسكي، باول (Alan Prince and Paul Smolensky) : Optimality Theory،

8.1 خصائص نظرية الأفضلية



1.8.1 العالمية (UNIVERSALITY): تشترك جميع اللغات في وجود نظام قواعدي لكل لغة، ووجود هذا النظام القواعدي يُعدُّ شرطاً لتطبيق هذه النظرية؛ لأنَّ القيود التي هي ركن رئيس من أركان بناء النظرية مستنبطة من هذا النظام ويرى مكارثي⁽¹⁾: أنَّ هذه القيود عالمية ومشتركة في جميع اللغات (All constraints are universal and universally present in grammars of all languages)

يقول برنس وسمولنسكي⁽²⁾: (إنَّ المفهوم الذي نود أن نؤطره في أنقى صورته هو: أنَّ النحو العالمي يوفر مجموعة كبيرة من المعايير العامة، وهذه المعايير غالباً ما تكون متضاربة في اللغات الخاصة، وهذه اللغات تختلف في كيفية حلِّ هذه الصراعات والمواءمة بينها؛ لاختلافها في طريقة ترتيب هذه المعايير وفقاً لهيمنة كل معيار بشكل هرمي من الأعلى إلى الأسفل لنتمكن من تحديد الظروف التي تؤدي إلى خرق هذه المعايير، وقواعد كل لغة هي الوسيلة لحل هذه الصراعات بين هذه المعايير، إنَّ النحو العالمي يوفر آليات رسمية ليس لبناء قواعد النحو خاصة، بل يوفر مادة للغة التي تم إنشاؤها من قواعد النحو).

إنَّ الفكرة الرئيسة التي يطرحها⁽³⁾ أن النحو العالمي يحتوي على كم هائل من القيود التمثيلية للبناء الأفضل، ومن قواعد النحو العالمي انبثقت قواعد اللغات الخاصة .

The basic idea we will explore is that Universal Grammar consists largely of a set of constraints on representational well-formedness, out of which individual grammars are constructed.

(1) مكارثي، جون (John J. McCarthy) : Page 11 : A Thematic Guide to Optimality Theory

(2) برنس، ألن، و سمولنسكي، باول (Alan Prince and Paul Smolensky) : Optimality Theory

Page : 3 Constraint Interaction in Generative Grammar

(3) برنس، ألن، و سمولنسكي، باول (Alan Prince and Paul Smolensky) : Optimality Theory

Page : 2 Constraint Interaction in Generative Grammar